شَخْصِيَّةُ الْقَائِدِ فِي ضَوْءِ سُورَةِ الْأَحْزَابِ

إِعْدادُ:

د. جهاد محمد فيصل النصيرات

الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين – كلية الشريعة –الجامعة الأردنية

المستخلص

تتناول هذه الدراسة شخصية القائد من خلال سورة الأحزاب، في دراسة موضوعية، تهدف للوقوف على أهمية هذه الشخصية القيادية، ووظائفها، وصفاتها، من خلال شخصية القائد الأول للأمة الإسلامية _ محمد صلى الله علية وسلم _ حيث كان لهذه السورة عناية موضوعية وأسلوبية خاصة بهذه الشخصية.

الكلمات الدالة: شخصية، قائد، سورة الأحزاب.

المقدمة

الحمد لله وكفى، وصلاةٌ وسلامٌ على عبده الذي اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبعدُ؛

فإن الله تعالى قد أكرم الأمة بهذا القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٨]، وجعله سوراً وآياتٍ باهراتٍ على مدى الأزمان ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [سورة هود: ١]، وإننا لنلحظ بكل جلاء ووضوح أن هنالك روحاً آسرةً في هذا القرآن، تنتظم آياته جميعها فيه، فلا تحسُّ وأنت تنتقل بين آياته وسوره بانقطاعٍ أو جفاء، وقد سمّى الرافعي هذه الروح: روح التركيب، يقول فيها: "وهذه الروح التي أومأنا إليها (روح التركيب)، لم تُعرف قطُّ في كلامٍ عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس، ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين، إذ تراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها، ثم إلى تأليف هذا النظم: فمن هاهنا تعلق بعضه على بعض وخرج في معنى تلك الروح، صفة واحدة، هي صفة إعجازه، في جملة التركيب. . . ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة، على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس، وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التي تؤديها حقيقة ومجازاً، كما تعرفه من كلام البلغاء وعند تباين الوجوه التي يتصرف فيها"(١).

(١) الرافعي (٢٠٠٣م)، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، القاهرة، مؤسسة المختار، ط١، ص١٩١-١٩٢.

من هنا جاءت أهمية الكتابة في هذا الموضوع ومسوغاته، وفي كونها كاشفة عن مظهر مهم من مظاهر الإعجاز، ورافدٍ دقيق من روافده، من خلال إثبات هذه اللحمة الواحدة، وهذا النسيج القوي في بناء السورة القرآنية وتفردها واستقلالها عن غيرها من السور موضوعاً وأسلوباً.

ولقد كان لسورة الأحزاب شأنها الخاص في تسليط الضوء على شخصية القائد، من خلال القائد الأسوة الأول لنا نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم _ حيث كان لها عناية ملموسة بجوانب هذه الشخصية، النبوية والبشرية على حد سواء.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما شخصية القائد في ضوء سورة الأحزاب؟ وينبثق عنه الأسئلة الفرعية الآتية: –

١–ما الموضوعات والقضايا التي عالجتها سورة الأحزاب؟

٢–ما علاقة القيادة بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة؟

٣–ما وظائف القائد من خلال السورة؟

٤–ما صفات القائد كما تقرر السورة؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

١–إبراز الوحدة الموضوعية في سورة الأحزاب.

٢–بيان أهمية القيادة للمجتمع المسلم من خلال السورة.

٣–بيان مهام القائد ووظائفه.

٤–إبراز صفات القائد الناجح.

الدراسات السابقة:

هنالك نوعان من الدراسات المؤصلة لهذه الدراسة وهما:

النوع الأول: الدراسات التي تناولت القيادة في المنظور القرآني بشكل عام. ومن أهم ما وقعت عليه منها: رسالة ماجستير ١٩٨٧م في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، للباحث: محمد كاظم صوالحة، إشراف د. احمد نوفل، وعنوانها: القيادة المؤمنة كما يعرضها القرآن الكريم، تناول فيها الباحث في خمسة أبواب: صفات القائد، والقائد مع أتباعه، والقائد مع أعدائه، وشخصيات الأنبياء القيادية: سليمان وطالوت _عليهما السلام _. ولم يعرض لموضوع هذه الدراسة من قريب.

النوع الثاني: الدراسات التي تناولت الحديث عن سورة الأحزاب تحليلاً وموضوعاً، وهذا المجال وسيعٌ فسيح يشمل المصنفات التفسيرية التحليلية التجزيئية، وكذلك الموضوعية التوحيدية، وعلى رأس هذه المصنفات التي تناولت الجانب الموضوعي: ما خطه يراع سيد قطب في الظلال. ومن أهم ما وقعت عليه في موضوعات سورة الأحزاب، لا سيما شخصية النبي صلى الله عليه وسلم _ وإن تناولتها على وجه العموم _، رسالة ماجستير للباحث محمد بولقصاع وعنوانها: النبي_ صلى الله عليه وسلم _في ضوء سورة الأحزاب / دراسة موضوعية. عام ٢٠١٠م، في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت، بإشراف أ. د محمد علي الزغول.

ولا شكّ أنّ الباحث الكريم قد عرض لجوانب تتقاطع مع بعض عنوانات هذه الدراسة، إلا أنّ الحديث بشكل دقيق عن شخصية القائد في ضوء سورة الأحزاب بقي بحاجة لمزيد بحث، من هنا جاءت أهمية ومسوغات الكتابة في هذا الموضوع.

منهجية البحث:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة الاعتماد على المناهج الرئيسة الآتية من مناهج البحث:

١- المنهج التحليلي: القائم على تحليل البيانات ونقدها نقداً علمياً في ضوء منهجية البحث العلمي الموضوعي السليم.

٢- المنهج الوصفي: من خلال تقسيم مباحث ومطالب هذه الدراسة بحسب طبيعة الموضوع _ قيد الدراسة _ في السورة الكريمة.

خطة البحث:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وعرض الباحث فيها مسوغات الدراسة، وأسئلتها وأهدافها والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: التعريف بمفردات الدراسة: تعريف القيادة وأهميتها وتعريف بسورة الأحزاب وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القيادة وأهميتها.

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة الأحزاب.

المبحث الأول: موضوعات سورة الأحزاب ومزاياها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الأحزاب.

المطلب الثاني: مزايا هذه السورة عن غيرها موضوعاً وأسلوباً.

المبحث الثاني: وظائف القائد من خلال السورة الكريمة وصفاته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وظائف القائد.

المطلب الثاني: صفات القائد.

الخاتمة: وفيها يعرض الباحث لنتائج الدراسة وتوصياتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: التعريف بمفردات الدراسة: تعريف القيادة وأهميتها وتعريف بسورة الأحزاب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القيادة وأهميتها:

يقول صاحب (العين): "القَودُ نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها (ويسوقها من خلفها). والقِياد: الحبل الذي تقود به دابة أو شيئاً، ويقال: إنه لسلس القِياد. وأعطيته مقادي أي انقدت له. واقتادَها لنفسه، وقادَها لنفسه وغيره. والقِيادةُ مصدر القائد. والقائدُ من الجبل: أنفه"(١).

وقال ابن فارس: "(قَوَدَ) الْقَافُ وَالْوَاوُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادٍ فِي الشَّيْءِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ امْتِدَادًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَفِي الْهَوَاءِ. مِنْ ذَلِكَ الْقُودُ: جَمْعُ قَوْدَاءَ، وَهِيَ النَّاقَةُ الطَّوِيلَةُ الْعُنُقِ. وَالْقَوْدَاءُ: الثَّنِيَّةُ الطَّوِيلَةُ فِي السَّمَاءِ. وَأَفْرَاسٌ قُودٌ: طِوَالُ الْأَعْنَاقِ.

وَيُفَرَّعُ مِنْ هَذَا فَيُقَالُ: قُدْتُ الْفَرَسَ قَوْدًا، وَذَلِكَ أَنْ تَمُدَّهُ إِلَيْكَ؛ وَهُوَ الْقِيَاسُ، ثُمَّ يُسَمُّونَ الْخَيْلَ قَوْدًا، فَيُقَالُ: مَرَّ بِنَا قَوْدٌ. وَفَرَسٌ قَؤُودٌ: سَلَسٌ مُنْقَادٌ. وَالْقَائِدُ مِنَ الْجَبَلِ: أَنْفُهُ. وَالْأَقْوَدُ مِنَ النَّاسِ: الَّذِي إِذَا أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْءِ بِوَجْهِهِ لَمْ يَكَدْ يَنْصَرِفُ. وَالْقَوَدُ: قَتْلُ الْقَاتِلِ بِالْقَتِيلِ، وَسُمِّيَ قَوَدًا لِأَنَّهُ يُقَادُ إِلَيْهِ"(٢).

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين. تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (١٩٦/٥).

(٢) ابن فارس، احمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، (٣٨/٥-٣٩).

وأضاف ابن منظور: والقائِدُ وَاحِدُ القُوَّاد والقادةِ؛ وَرَجُلٌ قَائِدٌ مِنْ قَوْمٍ قُوَّد وقُوَّاد وَقَادَةٍ.

وفرس قَوُود: سَلِسٌ مُنْقادٌ. وبعير قَوُود وقيِّدٌ وقَيْدٌ، مِثْلُ مَيْت، وأَقْوَدُ: ذَلِيلٌ مُنْقاد، وَالِاسْمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ القِيادةُ[1].

وفي ضوء دلالات مادة (قود) آنفة الذكر فإنّه يظهر لنا بجلاء ووضوح أنّ دلالات هذه المادة تقوم على الامتداد والبسط سواء أكان هذا البسط مادياً أم معنوياً، وهذا الامتداد يؤهل لقيادة الآخرين وسياستهم، ويبدو هذا جلياً واضحاً من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وأمّا تعريف القيادة في الاصطلاح: فقد كان للمتأخرين جهد طيب في محاولة ضبط هذا المصطلح ورسم حدوده، وإن تنوعت ألفاظهم فلم تتباين أفكارهم في ذلك، ومن أهم ما ذكروه:

القيادة: هي القدرة على التأثير في الآخرين من أجل تحقيق أهداف أو أغراض محددة [2].

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ مادة (قود).

(٢) انظر: المدري، أمين بن محمد، ٣٠ وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً. نسخة الكترونية، موقع مكتبة صيد الفوائد الالكتروني.

أو هي: الصفة التي تخلعها جماعة معينة على فرد من أفرادها، فيه خصائص وقدرات معينة، تجعله في نظرهم أهل للصدارة وأحق بالقيادة [١].

أو هي: عملية تحريك الناس نحو الهدف[٢].

وبناء على ما تقدم يتضح أنّ القدرة على إدارة الموارد والأفراد والإمكانات المادية والمعنوية للأمّة بما يحقق أهدافها، هو صلب القيادة وواسطة عقدها.

ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم، ولكنّ القرآن استعمل ألفاظ: الملك، الخلافة، الإمامة، وغيرها من الألفاظ التي تؤدي معاني هذه الكلمة بشكل أو بآخر.

ويبدو أنّ تاريخ القيادة على الأرض قديم قدم الإنسان ذاته؛ فالإنسان مدني بطبعه، يعيش ضمن جماعات، وهذا النوع من الحياة لا يمكن أن يسير بشكل منظم دون قيادة تدير أمورها وتنسق جهودها، وهذه سنة إلهية كونية في كل العوالم الأرضية، نجد هذا في عوالم النحل والنمل والطيور والأسماك ومملكة الغاب، وغيرها من المخلوقات.

ولقد اقتضت مشيئته سبحانه وتعالى أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض، وسخّر له كل ما في الكون ليكون سيّداً وقائداً له ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى

(١) انظر: المعمري، عبد الملك أحمد، القيادة والنمط القيادي في الإسلام. مكتبة دار السلام، اليمن، ط ١، ٢٠٠٧م، ص (٨).

(٢) السويدان، د. طارق، صناعة القائد. مكتبة الأستاذ احمد باشراحيل، ط ١، ٢٠٠٣م ص (٤٠).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ [الجاثية: ١٢ – ١٣].

وفي إرسال الأنبياء إلى الناس، سدّ لحاجة البشرية من قائد يسوسها ويدبّر أمورها يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال في حق نبيه داود _عليه السلام _: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص: ٢٦].

من هنا فإنّه من فضول القول أن ندلل على ضرورة وجود قائد للجماعات البشرية، يسوس أمورهم ويصلح أحوالهم، ويحقق أهدافهم، ويمنع عنهم، ويحفظ حقوقهم، ويبين لهم واجباتهم، لهذا فقد فقه الماوردي خطورة هذا الأمر وقرّره في واجبات الخليفة الذي يرعى أمور الناس حين جعل الباب الأول في الأحكام السلطانية فِي عَقِدِ الْإِمَامَةِ وقال تحته:

الْإِمَامَةُ مَوْضُوعَةٌ لِخِلَافَةِ النُّبُوَّةِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا[1]، وعلى هذا فإنّ أهمية القيادة ودورها ليس حكراً على النهوض بعمارة الأرض، مادة ومعنىً، بل يتعدى ذلك إلى الآخرة من خلال قيام الخليفة أو القائد على حراسة الدين من خلال قيامه بما يكفل لضمان امتثال الأمّة لأداء فروضه وترك نواهيه.

فالقيادة إلزام وتلزيم للقيام بواجبات الخلافة واستعمار الأرض.

(١) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية. دار الحديث، القاهرة، (١/١٥).

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة الأحزاب

يقول ابن عطية الأندلسي: "هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت"[١]، وآياتها ثلاث وسبعون آية وترتيبها في المصحف الشريف الثالث والثلاثون، جاءت بين سورتي السجدة وسبأ المكيتين، بل هي بين سلسلة من السور المكية، ويرى أ. د. محمد أبو موسى(١٩٩٦م): أن سورة السجدة تقوم على تعظيم أمر النبوة ببيان عظمة الله الذي أنزل الكتاب، وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأنه استوى على العرش، وأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه عالم الغيب والشهادة، وأنه أحسن كل شيء خلقه، إلى آخر هذه التجليات العظيمة للقدرة والرحمة والغضب[٢]، وتأتي سورة الأحزاب يشيع فيها التشريع والإنباء، فالسجدة كأنها صوت الألوهية في رحموتها وجبروتها واقتدارها، وسورة الأحزاب تتخلل الحياة وتداخلها، وتصحح أخطاءها وتشرع لسدادها وصوابها، وتأتي بعد ذلك سبأ، التي بدأت بحمد الله ثم تحليل لمقالات المخالفين، وبيان أباطيلهم، وضرب الأسانيد الفكرية التي قامت عليها عقائدهم، فكانت السور الثلاث مذاهب ثلاثة وشخصيات ثلاثة وأبنية بيانية ثلاثة وأبنية فكرية ثلاثة، ومع ذلك ففيها من الترابط والتكامل ما فيها[٣].

وقد شابهت هذه السورة مطلع سورتي الطلاق والتحريم المدنيتين: فكلها بدأت بقوله: "يا أيها النبي" بدأت الأحزاب بوصية النبي _صلى الله عليه

(١) المحرر الوجيز، ص١٤٩٩.

(٢) انظر: أبو موسى(١٩٩٦م)، محمد محمد، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٢، ص٢٩-٣١.

(٣) المصدر السابق.

وسلم_ بالتقوى، وجاءت سورة الطلاق لتذكر بثمرات التقوى ومظاهره، وشاركت سورة التحريم سورة الأحزاب الحديث عن نساء بيت النبوة والوصايا للمؤمنين، وجاءت حافلة بالنداءات للنبي والمؤمنين والكافرين تماماً كالنداءات في سورة الأحزاب، مما يدعو لدراسة هذه الظاهرة في القرآن الكريم في السور التي تتشابه مطالعها، لتتشابه بعد ذلك في بعض موضوعاتها وأساليبها.

ومما يجدر الوقوف عنده في هذه السورة، تعانق مطلعها مع خاتمتها فبدأت بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ [الأحزاب: ١ – ٣]، وختمت ببيان أن هذه الأوامر والنواهي إنما هي من المفهوم العام للأمانة التي كلّف بها الإنسان ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣]، فكانت خاتمتها –كما يقول ابن عاشور– من رد العجز على الصدر[1].

(١) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للتوزيع والنشر، بدون طبعة وتاريخ، ٢٤٨/٢١. ومعنى كلامه: أنّ خاتمة السورة بيّنت علة الأوامر التي بدأتها، فتعانقت البداية والنهاية.

المبحث الأول: موضوعات سورة الأحزاب ومزاياها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الأحزاب.

تبدو سورة الأحزاب لأول وهلة مقطعة الأواصر، متنوعة الموضوعات، متباينة القضايا، فقد تحدثت عن قضية التبني، وعن الميثاق وعن غزوة الأحزاب، وعن أحكام زوجات بيت النبوة، وعن زواج زينب، وعن وصايا للنبي ـصلى الله عليه وسلمـ في أزواجه وما يحل وما لا يحل له وعن حرمة إيذاءه، وعن أمر المؤمنين بالصلاة عليه، ثم أمر لنسائه ونساء المؤمنين بإدناء الجلابيب، وحديث ذي شجون عن المنافقين والمرجفين، وعن الساعة وإشارة إلى بني إسرائيل، وعن الأمانة وعرضها، مما يجعل السورة للنظرة الأولى متعددة القضايا لا ينظمها خيط واحد واضح، ولكن المحققين من العلماء رأوا أن لكل سورة نظاماً خاصاً للمعاني فيها، وأنها متحدة التوجيه متنوعة الأسلوب، فقد نقل لنا الإمام البقاعي في مقدمة تفسيره لسورة الفاتحة قول شيخه الإمام المحقق أبي الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد المشدالي المغربي[(١)] قوله: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس

(١) هو أبو الفضل محمد بن محمد المغربي البجائي المالكي، من آثاره: شرح جمل الخونجي في المنطق، توفي في سنة: ٨٦٥هـ، انظر: عبد الرزاق غالب المهدي في حواشيه على نظم الدرر، ١١/١.

السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة وسورة والله الهادي"(١). وربما أفاد من هذا الكلام د. دراز عندما صاغ هذه المقدمة الجزلة بمقدمةٍ بليغةٍ رصينةٍ ولكن بلغة العصر، فقال: "أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني، حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة، قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأُقيم على كل أصلٍ منها شعبٌ وفصول، وامتد من كل شعبة فيها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد، قد وضع رسمه مرة واحدة: لا تحسّ بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريقٍ إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام، كل ذلك بغير تكلف، ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفاً"(٢).

ومن هنا فإنّ الأستاذ سيد قطب _ وهو من أفضل من تحدث عن الوحدة الموضوعية لكل سورة في مقدمة تسبقها_ بيّن أنه وبالنظر إلى فترة نزول هذه السورة الممتدة من بعد غزوة بدر إلى ما قبل صلح الحديبية، فإن السورة

(١) البقاعي(٢٠٠٦م)، أبو الحسن إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١١/١.

(٢) دراز (١٩٨٤م)، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم، الكويت، دار القلم، ص١٥٥.

صوّرت هذه الفترة من حياة المسلمين تصويراً واقعياً مباشراً، تتولى فيه السورة جانباً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة، وإبراز تلك الملامح وتثبيتها في حياة الأسرة والجماعة، وبيان أصولها من العقيدة والتشريع وفي أثناء الحديث عن تلك الأوضاع والنظم يرد الحديث عن غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة، ومواقف الكفار والمنافقين واليهود فيهما ودسائسهم في وسط الجماعة المسلمة، وما وقع من خلل وأذى بسبب هذه الدسائس وتلك المواقف(١)، وقد جعلها سيد في ستة أشواط (٢).

وإذا أردنا أن نوجز موضوعات السورة وقضاياها فإنها تناولت الحديث عن الغزوتين وعن بعض التوجيهات التشريعية والأخلاقية، وهذه الموضوعات إضافة إلى ما ذكره سيد فإنها تشكل النواة الأولى لوحدة الموضوع في السورة والذي يميزها عن غيرها.

وأعتقد جازماً أن هذه السورة قامت على تأصيل وتفعيل الجانب الإداري عامة في حياة الجماعة المسلمة، وإذا كانت الإدارة تقوم على إنجاز الأهداف من خلال القيام بالوظائف الإدارية الخمسة: التخطيط والتنظيم والتوظيف والتوجيه والرقابة(٣).

فإن السورة جمعت هذه الأصول كلها وليس التنظيم فحسب –الذي أشار إليه سيد– فإن السورة قد استهلت بهذه التوجيهات الربانية العظيمة التي

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٥/٢٨١٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٥ / ٢٨١٨-٢٨٢١.

(٣) انظر: د. فياض(٢٠١٠م)، محمود أحمد وشركاه، مبادئ الإدارة، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١.

تحفظ المجتمع المسلم سليماً من الأذى، ولم تغب هذه التوجيهات عن مقطع من مقاطع السورة.

وأما عنصر التخطيط لحفظ كيان الأسرة والمجتمع على مر الزمان فإنه يظهر من خلال هذه التشريعات والتوجيهات الأخلاقية، ومن خلال إحباط الله عز وجلّ لمخططات أعدائهم الخارجيين والداخليين للنيل منهم عبر الأنموذجين المعروضين، ومن خلال التركيز على حفظ شخصية القائد والبيت الأول للمسلمين،

وأما التوظيف لإجراء الموازنة بين الموارد البشرية والطبيعية، وحثّ كل فرد على أن يقوم بواجباته الموكولة إليه ضمن هذا السلم الإداري الكبير، فنلمسه في آيات كثيرة تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم من مثل قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٨ – ١٩].

وقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢ – ٢٣].

وأما عنصر التنظيم فهو يقوم على المفاصلة في الولاء والبراء وفي كل

الأمور، فلا يُدعى الابن لغير أبيه، ولا تكون الزوجة المظاهرة أماً، كما لا يكون للإنسان قلبان في جوفه، لذا فصّلت السورة في أحوال الناس وبينت أقسامهم إزاء بعض المواقف، ونظمت لهم المرجعيات التي يعودون إليها إذا ادلهمت الأمور.

وأما عنصر الرقابة فيظهر من خلال النداءات المتكررة للنبي ـصلى الله عليه وسلمـ أن يتابع ما يؤمر به من ربه وأن يبدأه بنفسه وبأهل بيته، وأنه الأسوة والقدوة، وبأنه الشاهد والمبشر والنذير، وأنه الذي صلى الله عليه وملائكته. . . . الخ، فالقائد هو الذي يتولى هذه الرقابة فإذا صلح أهل البيت الأول ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]، فقد صلح أهل المدينة (أهل يثرب). وبإيجاز نقول: إن هذه السورة تؤصل لنظام إداري متكامل يحفظ المجتمع المسلم داخلياً وخارجياً، من خلال عمليات الإدارة الخمس التي تقوم على تنظيم العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين من جهة، وبين المرؤوسين أنفسهم من جهة أخرى وبينهم جمعياً وبين غيرهم ثم ما بينهم وما بين ربهم؛ لذا فإن لهذه السورة مزاياها الخاصة التي تتناسب مع شخصيتها.

ونظراً لأنّ الإدارة كلها لا تصلح دون مدير أو قائد يرعى شؤونها سلماً وحرباً، فقد كان لشخصية القائد ومهامه وصفاته حضور مميّز ركّزت عليه السورة ـ كما سيأتي ـ.

المطلب الثاني: مزايا هذه السورة عن غيرها موضوعاً وأسلوباً.

تميزت هذه السورة عن غيرها من السور بخصائص خاصة في الموضوع وفي الأسلوب:

أولاً: موضوعاً: حفلت السورة بالعديد من الموضوعات والأحكام التي لم ترد في سورة أخرى، كالحديث عن غزوتي الأحزاب، وبني قريظة، وقضية التبني، وتخيير زوجات النبي ـصلى الله عليه وسلمـ وأنهن لسن كبقية النساء، وزواج زينب، وأحكام زواج النبي ـصلى الله عليه وسلمـ، والأمر بالحجاب والحديث عن الأمانة وغيرها.

ومن الموضوعات التي تميزت بها هذه السورة فضلاً عما سبق، حديثها عن المنافقين، الذين ذكروا فيها باسمهم نحو (٧) مرات[١] من أول آية وحتى آخر آية ويأتي عدد مرات ذكرهم في الترتيب الثاني بعد سورة التوبة، وكذا ذكرت من في قلوبهم مرض نحو (٣) مرات وهذا العدد لم يرد في سورة أخرى[٢]. فضلاً عن وصفهم بالإرجاف والتعويق وغيرهما، وكذا تميزت هذه السورة حين ذكرت أوصافاً نفسية وفعلية لهم لم ترد في سورة أخرى؛ وذلك لخصوصية موضوعها واستقلال شخصيتها.

فقد أخذت هذه السورة على عاتقها كشف حقائق وأساليب وصفات خاصة بهم ترتبط بجوّ هذه السورة وموضوعها الذي تعالجه؛ لتكمل مشوار السور الأخرى التي فضحت أساليب أخرى لهم مثل: النساء والتوبة وغيرهما.

---

(١) الآيات: ١، ١٢، ٢٤، ٤٨، ٦٠، ٧٣(٢).

(٢) الآيات: ١٢، ٣٢، ٦٠.

وأخيراً كان لشخصية النبي _صلى الله عليه وسلم_ حضورها الخاص في هذه السورة، حيث ذكر بوصف النبي نحو (١٥) مرة[١]، ونودي بوصف النبوة في أربعة مواضع[٢]، ولا يخفى أن وصفه بالنبوة وما في تضامين هذه اللفظة من معاني النَبْوة والارتفاع، إنما جاء من علو منزلته التي اختاره الله فيها، وهذا ما يهيء له أن يكون مبلغاً ومتابعاً لأمته؛ فالعلو فيه معاني الرفعة والسلطة والرقابة والاختيار، فبيته قدوة وهو خير أسوة لباقي أفراد المجتمع، وهذا يتفق مع شخصية السورة في تنظيم المجتمع وإعادة هيكلة بناءه من خلال بيت القائد والمربي فيه. وذكر بوصف الرسالة نحو (١٤) مرة[٣]. وذكر باسمه (محمد) مرة واحدة[٤]، وهي ربع المرات التي ذكر فيها باسمه في القرآن[٥]؛ وهذا يعطي مؤشراً على عناية القرآن الكريم بذكره في جلّ آيات السورة فضلاً عن تصدي هذه السورة لنصرته والذبّ عنه، ومظاهر هذا كثيرة لعل منها:

- أنّها السورة الوحيدة التي أشارت إلى ولاية النبي _صلى الله عليه وسلم _ على المؤمنين ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [سورة الأحزاب: ٦].
- أنها قدّمت النبي _صلى الله عليه وسلم _ على الأنبياء الذين سبقوه ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ

(١) الآيات: ١، ٦، ١٣، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٨، ٤٥، ٥٠(٣)، ٥٣(٢)، ٥٦، ٥٩.

(٢) الآيات: ١، ٢٨، ٤٥، ٥٠.

(٣) الآيات: ١٢، ٢١، ٢٢(٢)، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٦(٢)، ٤٠، ٥٣، ٥٧، ٦٦، ٧١.

(٤) الآية: ٤٠.

(٥) المرات الأخرى: آل عمران: ١٤٤، محمد ٢، الفتح ٢٩.

مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ ﴾ [سورة الأحزاب: ٧].

- أنها قررت أنّه الأسوة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

- أنّها السورة التي ذكرت تخييره لأزواجه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٨ – ٢٩].

- أنها انفردت بذكر أزواجه وما يتعلق يهنّ من أحكام، وبينت نفي الرجس عن أهل بيته، ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٠]، وقوله ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢ – ٣٤].

- أنها انفردت بذكر أمر زواجه من زينب ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

- أنّها انفردت ببعض أوصافه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٥ – ٤٦].
- ذكرت ما أحله الله من زوجات ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٠].
- ذكرت أحكام الدخول عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣].
- أمرت المؤمنين بالصلاة عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦ – ٥٧].

لهذا فلا مبالغة إذا قلنا: لقد استغرق الحديث عن النبي _صلى الله عليه وسلم _، القائد الأول للمسلمين شطر السورة الكريمة، مما يؤكد على أنّ سلامة شخصية القائد ضمان لقوة المسلمين وعزتهم.

ثانياً: أسلوباً: هناك العديد من الأساليب والقضايا اللغوية التي ميزت هذه السورة عن غيرها من السور وإن شاركتها بعض السور في شيء من هذه الأساليب، ومنها:

١-ورود الفعل (كان) بكثرة في آيات السورة وفي فواصلها، حيث ورد في السورة نحو (٣٣) مرة، وجُلّها في فواصل آياتها، وفاقتها بهذا سورة النساء التي ورد فيها هذا الفعل نحو (٦٨) مرة وجلّها في الفواصل، وإن اشتركت السورتان في ترصيع فواصلهما بأسماء الله الحسنى، بشكل لافت، ففي سورة النساء جاءت أسماء الله الحسنى في فواصل آياتها بأكثر من (٥٠) آية، لا يقل منها عن (٤٠) آية دخلت على فاصلتها (كان)، وكذا في سورة الأحزاب، حظيت نحو (٢٠) آية بأسماء الله الحسنى، دخلت على أكثرها (كان) في نهاية هذه الفواصل، وهي قضية جديرة بالبحث، فكلا السورتين النساء والأحزاب كثر الحديث فيهما عن المنافقين، وكلاهما بدأ بنداء وختم بما تعانق به العجز مع الصدر، واشتركا في قضايا أسلوبية كثيرة، وشاركت سورة الأحزاب سورة النساء في محو ملامح المجتمع الجاهلي ونبذ رواسبه وتطهير المجتمع المسلم، مما يدفع لدراسة ظاهرة التوأمة بين هاتين السورتين، وهذا ليس محلها.

٢-كثرة استعمال أسلوب القصر في آيات هذه السورة وبطرائقه المختلفة لا

سيما أسلوب الاستثناء بعد النفي، حيث ورد في نحو (١٢) آية[١]، وتحديداً في سياق الحديث عن المنافقين ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ الأحزاب: ١٢، ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ الأحزاب: ١٣، ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ الأحزاب: ١٤، ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ الأحزاب: ١٦، ﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ الأحزاب: ٢٠، ﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ الأحزاب: ٦٠ وجاءت في معرض الحديث عن المؤمنين ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢]،، ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ [سورة الأحزاب: ٣٩]، وجاء أسلوب القصر بـ (إنما) في موضعين[٢] مما يعني أن هنالك ظاهرة أسلوبية من مباحث علم المعاني تحتاج للدرس في هذه السورة في ظل دراسة أغراض القصر وطرائقه وأنواعه والفروق بين هذه الأنواع؛ حيث إن (إنما) تأتي في الشيء الذي لا ينكره المخاطب ولا يدفعه أو لمن ينزل هذه المنزلة؛ بعكس الاستثناء بعد النفي.

٣- جاءت كلمة (القلب) نحو (١٠) مرات في هذه السورة[٣]؛ وهي بذلك من أكثر السور التي ذكرت فيها هذه الكلمة، وسبقها بذلك سورة التوبة التي شابهت هذه السورة في إعادة تنظيم علاقة المجتمع المسلم بغيره من المجتمعات وإعادة تصويب العلاقات الدولية والداخلية للمجتمع المسلم، وهذه المهمات تحتاج قبل كل شيء إلى سلامة القلوب على اعتبار أن هذا القلب هو ملك الأعضاء وهو مناط الأمر والصلاح والفساد، وهي قضية

(١) الآيات: ٦، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٣٩، ٥٢، ٥٣، ٦٠.

(٢) الآيات: ٣٣، ٦٣.

(٣) الآيات: ٤، ٥، ١٠، ١٢، ٢٦، ٣٢، ٥١، ٥٣(٢)، ٦٠.

تحتاج إلى البحث والدراسة.

٤- جاءت كلمة (الأذى) ومشتقاتها وصيغها المختلفة نحو (٧) مرات في هذه السورة[١]. وهي نحو ثلث المرات التي وردت فيها في القرآن الكريم، لا سيما في النهي عن إيذاء النبي _صلى الله عليه وسلم_ وأهل بيته، وهي قضية تحتاج _أيضاً_ للدراسة في ظل موضوعات السورة وشخصيتها، حيث ينبغي المحافظة على شخصية القائد من كل صنوف الأذى المادي والمعنوي.

٥- ذكرت المعاصي والذنوب بدرجاتها وأسمائها المختلفة في هذه السورة بشكل لافت من مثل: الكفر، النفاق، الخطأ، الفاحشة، الرجس، الجناح، المعصية، البهتان، الإثم[٢]، وهي قضية تتفق مع شخصية السورة التي قامت على تنظيم المجتمع وتقوية إدارته والفصل بين الأمور.

٦- هنالك قضية وظاهرة أخرى لافتة في هذه السورة؛ وهي الحديث عن أنواع المشاعر الإنسانية لا سيما المتعلقة بالخوف وتصويره تصويراً حياً، وكذا بيان درجات ردود الفعل البشري إزاء أي حدثٍ جللٍ من حيث الاندهاش والإنكار وفي النهاية التسليم للواقع، وهذا يدعو لدراسة الإعجاز النفسي في هذه السورة _لا سيما_ أثناء حديثها عما جرى يوم الأحزاب ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١٠ – ١١]، والحديث عن الخوف في قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ

(١) الآيات: ٤٨، ٥٣(٢)، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٩.

(٢) الآيات: ١، ٥، ٨، ٣٠، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٥٠، ٥٥، ٥٨.

ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، والرعب ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٦]، والخشية ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧]، ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٩]، والحزن والرضى ﴿وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ﴾ [سورة الأحزاب: ٥١]، والإرجاف ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [سورة الأحزاب: ٦٠]، والإشفاق ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]، ولا شك أن إبراز هذه المشاعر الإنسانية وكشف أستار غيبها يرتبط تماماً بجوّ هذه السورة وطبيعة مهمتها، والنماذج التي ساقتها لتقرير هذه المهمة، وهذا غاية في الأهمية لشخصية القائد الذي يجب أن يتعرّف على طبيعة مرؤوسيه ونفسياتهم، ما يحزنهم وما يفرحهم، ما يسعدهم وما يحزنهم.

٧– القضية الأخيرة أن هذه السورة حظيت بألفاظ تفردت بها عن غيرها سواء أكانت أسماء أو كلمات ليس لها اشتقاق آخر من جذرها، وهي: جوف، يثرب، المعوّقين، سلقوكم، نحبه، صياصيهم، زيد، وطر.

فضلاً عن انفراد السورة باشتقاقات وصيغ لم ترد إلا في هذه السورة ولكن ورد لها اشتقاقات وصيغ أخرى في سورٍ أخرى مثل: (المرجفون) و(أقطارها) و(قلبين) و(يخضعن) و(تبرجن وتبرج) وغيرها.

المبحث الثاني: وظائف القائد من خلال السورة الكريمة وصفاته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وظائف القائد.

تقدم في التمهيد أنّ وظائف ومهام القائد تتعلق بالدنيا والآخرة، وهذا ما يميّز القيادة في المنظور الإسلامي عن القيادة عند غيرهم، لأننا نلحظ أنّ نظرة الدراسات العلمانية حول القيادة ومفاهيمها تقوم على الجانب الدنيوي فحسب، وعلى الميدان العسكري فقط، ومعلوم في الإسلام أنّ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين هو القائد العسكري الفعلي لهم، لهذا فإنّ سورة الأحزاب قد تحدثت عن شخصية القائد من خلال حديثها عن النبي_ صلى الله عليه وسلم _، وما يتعلق بهذه الشخصية من جوانب أهّلته أن يكون أهلاً لهذه المهمة.

من هنا فإنَه يمكن أن تقسّم وظائف القائد بأكثر من اعتبار: وظائفه في السلم وفي الحرب، أو مع المؤمنين ومع الأعداء، أو وظائف مادية ووظائف معنوية، أو باعتبار الوظائف الملقاة على عاتقه ووظيفة الأمّة نحوه. لكنّ هذه الدراسة نظراً لمحدودية ميدانها، ومحدودية أوراقها، ستعرض لهذه الوظائف بحسب ورودها في السورة الكريمة، من خلال تقسيمها لهذه الوظائف بحسب حقوق وواجبات القائد، مبينةً تحت كل نقطة ما يرتبط بها من تقسيم، لا سيّما أننا نجد بعض الآيات في السورة قد جمعت بين أكثر من اعتبار أو تقسيم:

أولاً: واجبات القائد:

١. ولاية أمور المؤمنين: وقد ورد هذا صريحاً في السورة الكريمة بقوله

تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [سورة الأحزاب: ٦]، يقول الزمخشري: "النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ في كل شيء من أمور الدين والدنيا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ولهدا أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبدلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووقاءه إذا لقحت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ وصرفهم عنه، لأنّ كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه، فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمى بهم إلى الشقاوة وعذاب النار. أو هو أولى بهم، على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم" [(١)]. ولا شكّ أنّ هذه الآية نص في حقوق وواجبات القائد، واجباته نحو أمته وواجب الأمّة نحوه، وهذا ما يؤكد صعوبة الفصل، لكنّ نظم الآية الكريمة جعل النبي _صلى الله عليه وسلم _، هو المسند إليه أو الفاعل المعنوي كما يقول البلاغيون، وهذا يعني أنّه يتولى المؤمنين بالمحبة والنصرة والرعاية لمصالحهم، فهو محب لهم ومشفق عليهم، وهم يقدّمونه على أنفسهم. من هنا فإنّ أولى مهمات القائد أن يرعى مصالح الأمّة وأن ينكر ذاته أمام ذواتهم، فلا يستهتر بأرواحهم وأموالهم وأعراضهم وسائر شؤونهم، بل إنّه يحرص عليهم أكثر مما يحرص على نفسه.

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف. دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، (٥٢٣/٣).

٢. اتباع الشرع: لذا قررت سورة الأحزاب هذا الأمر منذ البداية لما له من أهمية في حفظ القائد من الوقوع في الزلل، لا سيّما عند اختلاط الأمر، فلا بدّ من دستور ومرجعية للقائد في إدارته لأمور الرعية في السلم والحرب، بينهم من ناحية وبينهم وبين أعدائهم قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢]، وقررت السورة هذا _أيضاً _ في الميثاق الذي أخذه الله تعالى من الأنبياء ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ۝٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝٨﴾ [سورة الأحزاب: ٧ – ٨]، فهذا الميثاق هو العهد الغليظ على أن يعبدوا الله لا يشركون به شيئاً وأن يدعوا الناس لذلك. لذا فإنّ القيادة بلا مرجعية شرعية ربانية سفينة تتقاذفها الأمواج لا ترسو ولا يأمن ربّانها ولا ركابها على شيء.

٣. عدم طاعة الكافرين والمنافقين: وقد قدّمت سورة الأحزاب هذا النهي على اتباع الوحي فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢ ﴾ [سورة الأحزاب: ١ – ٢]، ولعلّ هذا من التخلية قبل التحلية، فلا بد من مرجعية واحدة للقائد ومعايير ثابتة في القيادة، فإنّ اختلاط مصادر التشريع وتشويهها يؤدي إلى ظهور قيادة متزعزعة قلقة، تهزها الضواري وتثنيها العاديات، ولهذا على القائد أن يحذر أراجيف الفئات المعادية من الداخل والخارج، ففئة

المنافقين _ الطابور الخامس _ تفتك بالمجتمع المسلم من الداخل، وتوهي أركانه، لذا فإنّ سورة الأحزاب أعطت هذه الفئة عناية خاصة موضوعاً وأسلوباً _ كما تقدم في التمهيد _يقول الرازي: "لِمَ خَصَّ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُطِيعَ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ؟ نَقُولُ لِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ ذِكْرَ الْغَيْرِ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ لِأَنَّ غَيْرَهُمَا لَا يَطْلُبُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الِاتِّبَاعَ، وَلَا يَتَوَقَّعُ أَنْ يَصِيرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُطِيعًا لَهُ بَلْ يَقْصِدُ اتِّبَاعَهُ وَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ إِلَّا مُطَاعًا وَالثَّانِي: هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ مَنَعَهُ مِنْ طَاعَةِ الْكُلِّ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طَاعَتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ أَوْ مُنَافِقٌ لِأَنَّ مَنْ يَأْمُرُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَمْرٍ أَمْرَ إِيجَابٍ مُعْتَقِدًا عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ يُعَاقِبُهُ بِحَقٍّ يَكُونُ كَافِرًا"(١). **ويضيف سيّد قطب: "وتقديم هذا النهي على الأمر باتباع وحي الله يوحي بأن ضغط الكافرين والمنافقين في المدينة وما حولها كان في ذلك الوقت عنيفا، فاقتضى هذا النهي عن اتباع آرائهم وتوجيهاتهم، والخضوع لدفعهم وضغطهم. ثم يبقى ذلك النهي قائما في كل بيئة وكل زمان، يحذر المؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين إطلاقا، وفي أمر العقيدة وأمر التشريع وأمر التنظيم الاجتماعي بصفة خاصة. ليبقى منهجهم خالصا لله، غير مشوب بتوجيه من سواه.**

ولا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهر العلم والتجربة والخبرة_ كما يسوغ بعض المسلمين لأنفسهم في فترات الضعف

(١) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، (١٥٤/٢٥).

والانحراف_ فإن الله هو العليم الحكيم وهو الذي اختار للمؤمنين منهجهم وفق علمه وحكمته: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً». . وما عند البشر إلا قشور، وإلا قليل! "(١).

٤. مباشرة العمليات العسكرية الخطيرة بنفسه: ونفهم هذا من قوله تعالى وهو يحدّثنا عمّا جرى في الخندق ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، يقول ابن عاشور: "جِيءَ فِيهَا بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُمْ يَلِحُّونَ فِي الِاسْتِئْذَانِ وَيُكَرِّرُونَهُ وَيُجَدِّدُونَهُ. وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لَهُمْ. وَذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ ثَمَانِينَ مِنْهُمْ رَجَعُوا دُونَ إِذْنِهِ. وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ وَإِلَّا لَمَا ظَهَرَ تَمَيُّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَأَيْضًا فَإِنَّ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ مِنْ قَوْلِهِ يَسْتَأْذِنُ إِيمَاءً إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ"(٢).

وبغضّ النظر عمّا نقلته كتب السيرة من مباشرته _صلى الله عليه وسلم _للمهام العسكرية بنفسه، بل وقيامه بحفر الخندق مع أصحابه، فإنّ الآية نص في فعله ذلك، فقد تقدم المنافقون بعذرهم للنبي مباشرة، لأنّه كان معهم في أرض المعركة، وفي هذا درس للقادة في كل الأحوال أن يباشروا العمليات العسكرية الخطيرة بأنفسهم ولا يكلوها لغيرهم، ولذا بات مشهوراً في الكليات والمعاهد العسكرية أنّ القائد العسكري ينزل برتبته مستويين اثنين في حال

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن. دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط ١٧ ١٤١٢ هـ، (٢٨٢٢/٥).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤م، (٢٨٥/٢١).

العمليات العسكرية بخلاف الأحوال الطبيعية.

٥. التعامل بقوة مع الأعداء في المعركة وبعدها: فالقوة توقع الوهن في قلوب أعدائه، ويترك القرآن للقائد تقدير حجم ومقدار القوة التي يستعملها مع أعدائه، وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٦ – ٢٧].

٦. تحذير الأمّة من الأخطار المحدقة، ورفع المعنويات: وقد جاء هذا مضمناً في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢]، وقد جاء هذا إزاء ما قاله المنافقون: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٢]، يقول الشنقيطي: "ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَوُا الْأَحْزَابَ يَعْنِي جُنُودَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ جَاءُوهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا الْآيَةَ الَّتِي وَعَدَهُمْ إِيَّاهُ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ «الْبَقَرَةِ»، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٤].

فتعامل القائد مع جنده يجب أن يكون واضحاً، حيث ينبههم على مخاطر الطريق ويحذرهم منها، ولكنّه يرفع من معنوياتهم، حين يبين لهم أنّ النصر من عند الله وأنّه كائن لا محالة. فيصدق ذلك المؤمنون وينكره المنافقون، الذين يظنون النصر نتاج العدد والسلاح فحسب.

ثانياً: حقوق القائد:

١- **الطاعة:** لقد أعطت سورة الأحزاب هذه الخاصية للقائد ما لم تعط غيرها، لأنّها أهم ما يجب أن يمتلكه القائد حتى يستطيع أن يقوم بمهامه على أكمل وجه، وهذه الطاعة يجب أن تكون كاملة غير منقوصة، من كل رعيته وجنده بدءاً من بيته، لهذا أمر الله تعالى نساء النبي بهذا فقال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ الأحزاب: ٣١، وقوله: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ الأحزاب: ٣٣، بل إنّ القرآن ذكر نساءه مضافات إليه في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الأحزاب: ٢٨، وقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ الأحزاب: ٣٠، وقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الأحزاب: ٣٢، فالقائد يجب أن يطاع أولاً في بيته قبل رعيته. ثمّ جاء هذا الأمر أيضاً لرعيته وأتباعه من خلال ذكره معطوفاً على لفظ الجلالة في عشرة آيات[١].

ومن خلال أمر المؤمنين بطاعته نحو قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

(١) الآيات: ١٢، ٢٢، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٥٧، ٦٦، ٧١.

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٦٤ – ٧١].

يقول ابن عاشور: "وَجُمْلَةُ إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي الشِّكَايَةِ وَالتَّذَمُّرِ، وَهُوَ تَمْهِيدٌ لِطَلَبِ الِانْتِصَافِ مِنْ سَادَتِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ.

فَيَتَّجِهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُقَال لَهُم: لماذَا أَطَعْتُمُوهُمْ حَتَّى يَغُرُّوكُمْ، وَهَذَا شَأْنُ الدَّهْمَاءِ أَنْ يُسَوِّدُوا عَلَيْهِمْ مَنْ يُعْجَبُونَ بِأَضْغَاثِ أَحْلَامِهِ، وَيُغَرَّوْنَ بِمَعْسُولِ كَلَامِهِ، وَيَسِيرُونَ عَلَى وَقْعِ أَقْدَامِهِ، حَتَّى إِذَا اجْتَنَوْا ثِمَارَ أَكْمَامِهِ، وَذَاقُوا مَرَارَةَ طَعْمِهِ وَحَرَارَةَ أُوَامِهِ، عَادُوا عَلَيْهِ بِاللَّائِمَةِ وَهُمُ الْأَحِقَّاءُ بِمَلَامِهِ.

لِأَنَّ كُبَرَاءَهُمْ مَا تَأَتَّى لَهُمْ إِضْلَالُهُمْ إِلَّا بِتَسَبُّبِ طَاعَتِهِمُ الْعَمْيَاءِ إِيَّاهُمْ وَاشْتِغَالِهِمْ بِطَاعَتِهِمْ عَنِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ فِيمَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ من فَسَاد وو خامة مَغَبَّةٍ. وَبِتَسَبُّبِ وَضْعِهِمْ أَقْوَال سادتهم وكبرائهم مَوْضِعَ التَّرْجِيحِ عَلَى مَا يَدْعُوهُمْ

إِلَيْهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[1].

٢- حرمة إيذائه مادياً ومعنوياً: وقد جاء هذا النهي في مواضع عديدة من السورة مدار البحث، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣]، وقال في بيان عقوبة هذا الإيذاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [سورة الأحزاب: ٥٧]، وأكّد ذلك في نهاية السورة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [سورة الأحزاب: ٦٩]، وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، دَعَا القَوْمَ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير. (١١٧/٢٢)

فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴿٥٣﴾﴾ الآيَة [سورة الأحزاب: ٥٣][(١)].

يتقرر من النصوص السابقة أنّ القرآن الكريم حرّم التعرض لشخصية القائد بالأذى مهما كان نوعه، لأنّ في الحفاظ على سلامة شخصيته حفظ لهوية الأمّة، يقول السعدي: "فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء. والله تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائنًا ما كان. فهذا أدبهم في الدخول في بيوته. . . . ، فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرًا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع، البعد عنها، بكل طريق"[(٢)].

٣- التمتع بالامتيازات والمباحات التي بين يديه: فالقائد قبل كل شيء إنسان، يحتاج ما يحتاجه غيره، وربما حاجته له أكثر لما على عاتقه من أحمال ومسؤوليات، وقد تقرر هذا في السورة الكريمة، من خلال ما أباحه الله له من أمور الزوجات، وكذا زواجه بزينب طليقة ابنه في التبني، وقد كانوا يقولون عن زوجها: زيد بن محمد، فنهاهم القرآن عن ذلك بقوله: ﴿مَّا كَانَ

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل، الصحيح. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، كتاب التفسير، باب قوله: لا تدخلوا بيوت النبي، حديث رقم (٤٧٩١).

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المحقق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص (٦٧٠).

مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]، وقال في هذا المجال بحقه: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨]، وقد جاءت هذه الآية بعد قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧]، يقول ابن عاشور: "إِيمَاءٍ إِلَى انْتِفَاءِ الْحَرَجِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ فِي تَنَاوُلِ الْمُبَاحِ بِأَنَّ اللَّهَ أَرَادَ مِنْهُمْ تَبْلِيغَ الرِّسَالَةِ وَخَشْيَةَ اللَّهِ بِتَجَنُّبِ مَا نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ إِشْقَاقَ نُفُوسِهِمْ بِتَرْكِ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي يُرِيدُونَهَا، وَلَا حَجْبَ وِجْدَانِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْحَسَنِ وَقُبْحِ الْقَبِيحِ، وَلَا عَنِ انْصِرَافِ الرَّغْبَةِ إِلَى تَنَاوُلِ مَا حَسُنَ لَدَيْهِمْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي حُدُودِ الْإِبَاحَةِ، وَلَا كلّفهم مُرَاعَاة ميول النَّاسِ وَمُصْطَلَحَاتِهِمْ وَعَوَائِدِهِمُ الرَّاجِعَةِ إِلَى الْحَيْدَةِ بِالْأُمُورِ عَنْ مَنَاهِجِهَا فَإِنَّ فِي تَنَاوُلِهِمْ رَغَبَاتِهِمُ الْمُبَاحَةَ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى النَّشَاطِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِقَوْلِهِ: وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ، أَيْ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا خَشْيَةً تَقْتَضِي فِعْلَ شَيْءٍ أَوْ تَرْكَهُ"[1].

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير. (٤٢/٢٢).

٤–محبته ومعاونته ونصرته: ويظهر هذا من خلال الأمر بطاعته، وعدم إيذائه، ومن خلال جعله أسوة لأمته، وأولى بهم من أنفسهم، يقول ابو السعود عند قوله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾ [سورة الأحزاب: ٦]، "﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ أي في كلِّ أمرٍ من أمورِ الدِّينِ والدُّنيا كما يشهدُ به الإطلاق فيجب عليه ان يكون _صلى الله عليه وسلم_ أحبَّ إليهم من أنفسِهم وحكمُه أنفذَ عليهم من حكمِها وحقُّه آثرَ لديهم من حقوقِها وشفقتُهم عليه أقدمَ من شفقتِهم عليها"[(١)].

المطلب الثاني: صفات القائد

ينبغي لمن يتصدى لأمور الجند وعامة الناس من مؤهلات وصفات تمكنّه من هذا الأمر، وإلا لأسند الأمر لمن ليس أهلاً لذلك، وبذا تضيع الحقوق والواجبات، ولتكلم الرويبضة في أمور العامّة، وقد أوجز القرآن أهم هذه الصفات على لسان نبي الملأ من بني إسرائيل بقوله لقومه: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي

(١) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٩١/٧).

﴿ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧]، يقول صاحب المنار: وَالْمُتَبَادَرُ عِنْدِي أَنَّ مَعْنَاهُ فَضَّلَهُ وَاخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ بِمَا أَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الِاسْتِعْدَادِ الْفِطْرِيِّ لِلْمُلْكِ، وَلَا يُنَافِي هَذَا كَوْنَ اخْتِيَارِهِ كَانَ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ هِيَ بَيَانٌ لِأَسْبَابِ الِاخْتِيَارِ وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

(١)الِاسْتِعْدَادُ الْفِطْرِيُّ وهُوَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ فِي الْمَرْتَبَةِ فَلِذَلِكَ قَدَّمَهُ.

(٢)السَّعَةُ فِي الْعِلْمِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ التَّدْبِيرُ، وَالْعِلْمُ بِحَالِ الْأُمَّةِ وَمَوَاضِعِ قُوَّتِهَا وَضَعْفِهَا وَجَوْدَةِ الْفِكْرِ فِي تَدْبِيرِ شُئُونِهَا، فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ بِحَالِ زَمَانِهِ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِلسُّلْطَةِ اتَّخَذَهُ مَنْ هُوَ مُسْتَعِدٌّ لَهَا سِرَاجًا يَسْتَضِيءُ بِرَأْيِهِ فِي تَأْسِيسِ مَمْلَكَةٍ أَوْ سِيَاسَتِهَا، وَلَمْ يَنْهَضْ بِهِ رَأْيُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ هُوَ السَّيِّدُ الزَّعِيمُ فِيهَا.

(٣)بَسْطَةُ الْجِسْمِ، وَكَمَالُ الْجِسْمِ فِي قُوَاهُ وَرِوَائِهِ.

(٤)الْمُعَبَّرُ بِهَا عَنْ صِحَّتِهِ وَكَمَالِ قُوَاهُ الْمُسْتَلْزِمِ ذَلِكَ لِصِحَّةِ الْفِكْرِ عَلَى قَاعِدَةِ ((الْعَقْلُ السَّلِيمُ فِي الْجِسْمِ السَّلِيمِ)) وَلِلشَّجَاعَةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْمُدَافَعَةِ وَلِلْهَيْبَةِ وَالْوَقَارِ.

(٥)تَوْفِيقُ اللهِ تَعَالَى الْأَسْبَابَ لَهُ وَهُوَ مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: (وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ).

وَقَدْ قَدَّمَ الْأَرْكَانَ الثَّلَاثَةَ عَلَى الرَّابِعِ؛ لِأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِمَوَاهِبِ الرَّجُلِ الَّذِي اخْتِيرَ مَلِكًا فَأَنْكَرَ الْقَوْمُ اخْتِيَارَهُ فَهِيَ الْمَقْصُودَةُ بِالْجَوَابِ، وَأَمَّا تَوْفِيقُ اللهِ تَعَالَى بِتَسْخِيرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي لَا عَمَلَ لَهُ فِيهَا لِسَعْيِهِ فَلَيْسَ مِنْ مَوَاهِبِهِ وَمَزَايَاهُ فَتَقَدَّمَ فِي أَسْبَابِ اخْتِيَارِهِ، وَإِنَّمَا تُذْكَرُ تَتِمَّةً لِلْفَائِدَةِ وَبَيَانًا لِلْحَقِيقَةِ؛ وَلِذَلِكَ ذُكِرَتْ

قَاعِدَةً عَامَّةً لَا وَصْفًا لَهُ. [١].

ولا شكّ أنّ قائد المسلمين الأول قد اتصف بهذه الصفات جميعها، ولكنّ السؤال عن مدى توفرها في القادة بعد النبي _صلى الله عليه وسلم _، فأمّا الإستعداد الفطري، فإنّ الدراسات العسكرية الحديثة تكاد تجمع على أنّ القائد يولد قائداً، ويتميّز عن أقرانه منذ نعومة أظفاره بشخصيته القيادية، التي تدفعه أن يترأس أقرانه، وأن يكون صاحب التوجيه والتأثير فيهم، ثمّ يأتي العلم المكتسب والخبرة التي تصقل هذه الشخصية بشكل يؤهلها أن تكون شخصية قيادية بارزة، وهذا المعبر عنه في الآية بالعلم، أي العلم الضروري لهذه المهمة، وأمّا القوة البدنية والنفسية فهي ضرورية كذلك، فمن شأن قوة القائد أن تنعكس على جنده، وكذا ضعفه _ لا قدّر الله _، لهذا لا بدّ للقائد أن يتمتع بقوة بدنية ونفسية، تؤثر في أتباعه إيجاباً وإبداعاً، لأنّه بكل بساطة قدوتهم المنظورة، وهذا ما ركّزت عليه سورة الأحزاب في إبراز القائد القدوة العالم القوي، فهذا الكم من النداءات والتكاليف للنبي القائد الأسوة، لا يكون إلا لمن أوتي حظاً وافراً من العلم والقوة النفسية والبدنية تؤهله لهذه المهام الجسام، وفضلاً عن هذا فلقد ذكرت السورة منطوقاً ومفهوماً مجموعة من الصفات الأخرى للقائد لعل من أهمها:

١–التقوى: وهي عند الراغب: "والتَّقْوَى جعل النّفس في وِقَايَةٍ مما يخاف، هذا تحقيقه، ثمّ يسمّى الخوف تارة تَقْوَى، والتَّقْوَى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التَّقْوَى في تعارف

(١) انظر: رضا، محمد رشيد، المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، (٢/٣٧٨–٣٨٠).

الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات"[1].

وقد جاء الأمر بالتقوى من الآية الأولى في السورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ [سورة الأحزاب: ١]، وفي وصف بيوت النبي ـصلى الله عليه وسلم ـقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣ – ٣٤]، فبيت النبيـ صلى الله عليه وسلم ـطاهر من الرجس والنجس، يتلى فيه القرآن، ويذكر فيه الله. ويستفاد من هذا أنّ القائد يجب أن يكون متصفاً بالإيمان والتقوى، في بيته وخاصة أمره قبل رعيته، حتى يتمكن من القيام بواجباته على أكمل وجه، فرعاية شؤون الجند تحتاج مخافة الله لحفظ حقوقهم ورعاية مصالحهم، ولا يرشّح أحد لهذه المهمة إن لم يكن كذلك وأمر النبي بالتقوى مع التزامه بها قال فيه الرازي: "فِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْقُولٌ وَهُوَ أَنَّهُ أُمِرَ بِالْمُدَاوَمَةِ فَإِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ لِلْجَالِسِ اجْلِسْ هاهنا إِلَى أَنْ أَجِيئَكَ، وَيَقُولُ الْقَائِلُ لِلسَّاكِتِ قَدْ أَصَبْتَ فَاسْكُتْ تَسْلَمْ، أَيْ دُمْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ.

وَالثَّانِي: وَهُوَ مَعْقُولٌ لَطِيفٌ، وَهُوَ أَنَّ الْمَلِكَ يَتَّقِي مِنْهُ عِبَادُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ

(١) الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن. تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ص (٨٨١).

أَوْجُهٍ بَعْضُهُمْ يَخَافُ مِنْ عِقَابِهِ وَبَعْضُهُمْ يَخَافُ مِنْ قَطْعِ ثَوَابِهِ وَثَالِثٌ يَخَافُ مِنِ احْتِجَابِهِ فَالنَّبِيُّ لَمْ يُؤْمَرْ بِالتَّقْوَى بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ وَلَا بِالْمَعْنَى الثَّانِي، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَالْمُخْلِصُ لَا يَأْمَنُهُ مادام فِي الدُّنْيَا.

وَكَيْفَ وَالْأُمُورُ الدُّنْيَوِيَّةُ شَاغِلَةٌ وَالْآدَمِيُّ فِي الدُّنْيَا تَارَةً مَعَ اللَّهِ، وَأُخْرَى مُقْبِلٌ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ اللَّهُ وَإِلَى هَذَا إِشَارَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [سورة فصلت: ٦]، يَعْنِي يُرْفَعُ الْحِجَابُ عَنِّي وَقْتَ الْوَحْيِ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْكُمْ كَأَنِّي مِنْكُمْ فَالْأَمْرُ بِالتَّقْوَى يُوجِبُ اسْتِدَامَةَ الْحُضُورِ الْوَجْهُ الثَّانِي: هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلَّ لَحْظَةٍ كَانَ يَزْدَادُ عِلْمُهُ وَمَرْتَبَتُهُ حَتَّى كَانَ حَالُهُ فِيمَا مَضَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ تَرْكًا لِلْأَفْضَلِ، فَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ تَقْوَى مُتَجَدِّدَةٌ فَقَوْلُهُ: اتَّقِ اللَّهَ عَلَى هَذَا أُمِرَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ"[(١)].

٢– التوكل على الله: وقد جاء الأمر به في الآية الثالثة من السورة الكريمة بقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣]، يقول ابن كثير: "هَذَا تَنْبِيهٌ بِالْأَعْلَى عَلَى الْأَدْنَى، فَإِنَّهُ تَعَالَى إِذَا كَانَ يَأْمُرُ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ بِهَذَا، فَلأن يَأْتَمِرَ مِنْ دُونِهِ بِذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى"[(٢)]. والتوكل عند صاحب (التعريفات): "هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس"[(٣)]. وقد جاء الأمر بالتوكل بعد ذلك في أثناء

(١) الرازي، التفسير الكبير. (٢٥ /١٥٣).

(٢) ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩م، (٦/٣٧٥).

(٣) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات. صححه وضبطه مجموعة من العلماء، دار =

السورة: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٨]، وهذا التأكيد على صفة التوكل في السورة الكريمة إنما هو لبيان أنّ القائد حري به أن لا يغترّ بأسباب النصر وإن أعدّها بشكل سليم، فلا بدّ له في نهاية الأمر من أن يتكل على الله ويعلم أنّ النصر من عنده، لا من قوة الأسباب، ولا تناقض ألبته بين الأمرين: إعداد وتوكل. وقد صوّرت السورة الكريمة تحقق التوكل في قلوب المؤمنين تأسياً بقائدهم، وغيابه عن المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٩ – ١٢] إلى أن قال بعد ذلك: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢].

٣- الأخلاق الحميدة: ينبغي لمن يتصدّر لقيادة الناس من أن يكون على قدر واف من الخلق يؤهله لهذه المهمة، وقد بيّنت السورة مدار البحث شيئاً من أخلاق القائد الأنموذج محمد_ صلى الله عليه وسلم_، ويكفيه شهادة ربّه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]،

= الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، (١/٧٠).

ثمّ شهادة أصحابه له بالصدق: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢]، وكذلك اتصافه وأهل بيته بالعفّة والنزاهة: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢ – ٣٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩]، واتصافه بالحياء كذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣]، فقد كان النبي ـ

صلى الله عليه وسلم _أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان يعرف ذلك في وجهه.

ومن الصفات التي ذكرتها السورة على سبيل التمثيل: صفة الأمانة، فقد ختمت السورة بالحديث عنها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]، ولا شكّ أنّ النبي القائد كان أول من حملها وحافظ عليها.

والأمانة صفة في القائد تؤهله للحفاظ على المقدّرات المادية والبشرية التي بين يديه، وبدون هذه الأخلاق كلها لا يتحقق الأمن والاستقرار للقائد والرعية، فإنّ الناس يأمنون القائد على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وبدون اطمئنانهم لأخلاقه وأمانته لا تستقيم طاعته.

٤- الشجاعة: وقد عرّفوها بقولهم: هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن، بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها[1]. والشجاعة إنما تنبع من ثبات القلب واستقراره وهذا ينشأ من الأيمان بالله والتوكل عليه، لهذا فالقائد في منزلة بين منزلتين: جبن وتهور، فلا ينبغي أن ترجح إحدى الكفتين على الأخرى. وقد كان النبي القائد أنموذجاً يحتذى في الشجاعة إذا حمي الوطيس يلوذ به أصحابه، وقد ظهرت الإشارة إلى هذه الصفة في سورة الأحزاب، في شجاعة أصحابه الذين ائتسوا فيه، في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣]، وقد أخرج الإمام مسلم في سبب نزول الآية عن أنس

(١) الجرجاني، التعريفات. ص (١٢٥).

رضي الله عنه قال: «عَمِّيَ الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا»، قَالَ: "فَشَقَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُيِّبْتُ عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ، " قَالَ: «فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا»، قَالَ: «فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ»، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: «فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»، قَالَ: «فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ»، قَالَ: "فَقَالَتْ أُخْتُهُ – عَمَّتِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ – فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣]"، قَالَ: «فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ [(١)].

وكذلك ظهرت في معاقبة يهود بني قريظة الذين خانوا العهد: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٥ – ٢٧].

٥– **الموضوعية والحيادية:** وهي تعني أن يحافظ القائد على مسافة واحدة مع جميع مرؤوسيه، فلا يميّز بعضهم عن بعض، بل يتعامل معهم بمساواة،

(١) مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم. كتاب الجهاد، باب: ثبوت الجنة للشهيد، حديث رقم (١٩٠٣). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وهذه الصفة متولّدة من صفة العدل التي هي أصل هام من أصول الأخلاق الحميدة، وقد ظهرت هذه الحيادية في مظاهر متنوعة في السورة الكريمة: حيادية في إقرار مبدأ التبني حتى لو مسّ شخصية القائد، ومن خلال أقرب الناس إليه، وفي تنفيذ الأمر الإلهي في زواجه من زينب طليقة ابنه في التبني: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]، يقول الشعراوي عن الآية السابقة: "هذا يدل على أن صرامة التشريع لا تجامل أحداً حتى ولا محمدا بن عبد الله وهو رسول" (١).

وحيادية مع زوجاته في تبليغهنّ بآية التخيير عندما طالبن بتحسين المعيشة، وقد نقلت كتب السنّة لنا شيئاً من ذلك أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي فَقَالَ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ قَالَتْ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إِلَى ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ قَالَتْ فَقُلْتُ فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ قَالَتْ ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلَ مَا فَعَلْتُ. (٢). يعقّب سيّد على الآية السابقة فيقول: "ونحب أن نقف لحظات

(١) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي (الخواطر). مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، (٤/ ٢١٠١).

(٢) البخاري، الصحيح. كتاب بدء الوحي، باب: قوله: وإن كنتن تردن الله ورسوله، حديث رقم =

أمام هذا الحادث نتدبره من بعض زواياه. إنه يحدد التصور الإسلامي الواضح للقيم ويرسم الطريق الشعوري للإحساس بالدنيا والآخرة. ويحسم في القلب المسلم كل أرجحة وكل لجلجة بين قيم الدنيا وقيم الآخرة بين الاتجاه إلى الأرض والاتجاه إلى السماء. ويخلص هذا القلب من كل وشيجة غريبة تحول بينه وبين التجرد لله والخلوص له وحده دون سواه. هذا من جانب ومن الجانب الآخر يصور لنا هذا الحادث حقيقة حياة رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– والذين عاشوا معه واتصلوا به. وأجمل ما في هذه الحقيقة أن تلك الحياة كانت حياة إنسان وحياة ناس من البشر لم يتجردوا من بشريتهم ومشاعرهم وسماتهم الإنسانية"(١).

ولا شكّ أنّ هذه الحيادية ارتبطت هنا بمبدأ النزاهة الذي يجب أن يتحلى به القائد حتى مع أقرب الناس إليه.

٦–الحزم: يقول ابن الأثير: "الحَزْمُ ضَبْط الرجُل أمرَه والحَذَرُ مِنْ فَواته، مِنْ قَوْلِهِمْ: حَزَمْتُ الشَّيْءَ: أَيْ شَدَدْتَه. "(٢). فالقائد الحازم هو الذي يأخذ قراره بعد تفكير منطقي واضح، وبعد أن يستشير أهل الخبرة والعلم في الأمر الذي سيقدم عليه، ثمّ يعزم على التنفيذ غير عابيء بالمثنيات والمثبطات. وعلى هذا فالحزم يضمن قوة شخصية القائد، ويضمن كذلك ثقة المرؤوسين، وقد ظهر هذا الحزم في شخصية النبي القائد في سورة الأحزاب على الصعيد الداخلي: في بيته وبين

= (٤٧٨٦).

(١) قطب، سيّد، في ظلال القرآن (٢٨٥٥/٥).

(٢) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، (٣٧٩/١).

المؤمنين، وعلى الصعيد الخارجي مع اليهود والمنافقين. فكان الحزم مع زوجاته وأهل بيته جلياً في التخيير لهنّ، وفي لباس التقوى، في مثل قوله له قوله: (قل لأزواجك) في موضعين من السورة الكريمة(١). وكذا في أمر زواجه بزينب، وظهر كذلك في تعامله مع المؤمنين بتنفيذ التبليغ والمتابعة لهم، (أمسك عليك زوجك) ففي مثل هذه الصيغ ما يشعر بقوة الحزم وكمال العزم، وكذلك في تنفيذ أمر الله من فوق سبع سماوات في يهود بني قريظة الذين نقضوا عهدهم مع النبي_ صلى الله عليه وسلم _﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٦].

(١) الآيتان: ٢٨ و ٥٩.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة شخصية القائد من خلال سورة الأحزاب، في دراسة موضوعية، هدفت للوقوف على أهمية هذه الشخصية القيادية، ووظائفها، وصفاتها، من خلال شخصية القائد الأول للأمة الإسلامية، محمد_ صلى الله عليه وسلم _، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج:

- تقوم الوحدة الموضوعية في سورة الأحزاب على ترتيب الجانب الإداري في حياة المسلمين، من تنظيم وتوجيه وتخطيط ورقابة وتوظيف.
- ركّزت السورة على الجانب القيادي من خلال شخصية النبي _صلى الله عليه وسلم _، حيث شغر الحديث عنه وعن آل بيته نصف السورة الكريمة.
- بيّنت السورة مهام ووظائف القائد المادية والمعنوية، سواء أكانت على الصعيد الداخلي أم الخارجي.
- من أهم واجبات القائد: الحكم بما أنزل الله، وعدم طاعة الأعداء الداخليين والخارجيين، ومباشرة العمليات العسكرية الخطيرة بنفسه، والتعامل بقوة وحزم مع الأعداء، ورفع معنويات أتباعه.
- من أهم حقوق القائد: طاعته، وعدم إيذائه مادياً ومعنوياً، وتمتعه بالامتيازات الممنوحة له، ومحبته ونصرته.
- صفات القائد من خلال السورة: التقوى، العلم، القوة، التوكل على الله، الأخلاق الحسنة، الشجاعة، الموضوعية والحيادية والحزم.

توصي هذه الدراسة:

- **دراسة التصوير الفني في سورة الأحزاب.**
- **دراسة الإعجاز النفسي في سورة الأحزاب.**
- **دراسة الشخصية المنافقة في ضوء سورة الأحزاب.**

والحمد لله من قبل ومن بعد.

المصادر والمراجع

١) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

٢) البخاري، محمد بن اسماعيل، الصحيح. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

٣) البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، (٢٠٠٦م).

٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات. صححه وضبطه مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.

٥) دراز، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم، الكويت، دار القلم، (١٩٨٤م).

٦) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٧) الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن. تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

٨) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، القاهرة، مؤسسة المختار، ط١. (٢٠٠٣م).

٩) رضا، محمد رشيد، المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١٠) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف. دار الكتاب العربي، بيروت، ط

٣، ١٤٠٧هـ.

١١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المحقق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م.

١٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي، بيروت

١٣) السويدان، د. طارق، صناعة القائد. مكتبة الأستاذ احمد باشراحيل، ط ١، ٢٠٠٣م.

١٤) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي (الخواطر). مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م. الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين. تحقيق د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٥) الشنقيطي، محمد الأمين المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٦) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤م.

١٧) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق وتعليق عبدا لله ابن ابراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال السيد ابراهيم، وزارة الأوقاف، قطر، ط١، ١٩٨٨.

١٨) ابن فارس، احمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٩) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين. تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٠) د. فياض، محمود أحمد وشركاه، مبادئ الإدارة، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، (٢٠١٠م).

٢١) قطب، سيد، في ظلال القرآن. دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط ١٧، ١٤١٢ هـ.

٢٢) ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩م.

٢٣) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية. دار الحديث، القاهرة.

٢٤) المدري، أمين بن محمد، ٣٠ وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً. نسخة الكترونية، موقع مكتبة صيد الفوائد الالكتروني.

٢٥) مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦) المعمري، عبد الملك أحمد، القيادة والنمط القيادي في الإسلام. مكتبة دار السلام، اليمن، ط ١، ٢٠٠٧م.

٢٧) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٨) أبو موسى، محمد محمد، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٢. ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ..... – ٤٧٥ –

المقدمة ..... – ٤٧٦ –

مشكلة الدراسة: ..... – ٤٧٧ –

أهداف الدراسة: ..... – ٤٧٧ –

الدراسات السابقة: ..... – ٤٧٨ –

منهجية البحث: ..... – ٤٧٩ –

خطة البحث: ..... – ٤٨٠ –

التمهيد: التعريف بمفردات الدراسة: ..... – ٤٨١ –

المطلب الأول: تعريف القيادة وأهميتها: ..... – ٤٨١ –

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة الأحزاب ..... – ٤٨٥ –

المبحث الأول: موضوعات سورة الأحزاب ومزاياها وفيه مطلبان: ..... – ٤٨٧ –

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الأحزاب. ..... – ٤٨٧ –

المطلب الثاني: مزايا هذه السورة عن غيرها موضوعاً وأسلوباً. ..... – ٤٩٢ –

المبحث الثاني: وظائف القائد من خلال السورة الكريمة وصفاته. وفيه مطلبان: – ٥٠٠ –

المطلب الأول: وظائف القائد. ..... – ٥٠٠ –

أولاً: واجبات القائد: ..... – ٥٠٠ –

ثانياً: حقوق القائد: ..... – ٥٠٦ –

المطلب الثاني: صفات القائد ..... – ٥١١ –

الخاتمة ..... – ٥٢٣ –

المصادر والمراجع ..... – ٥٢٥ –

فهرس الموضوعات ..... – ٥٢٨ –